كامل كيلانى

أساطير العالم

ك ميداس

دار المعارف

أساطير العالم

الملك ميداس

الطبعة الحادية عشرة

مقدمة

أَيُّها ٱلطِّفلُ ٱلعزيزُ :

هٰذهِ مَجْمُوعَةٌ مُخْتارَةٌ ، قَبَسْتُها لَكَ مِنْ أَساطِيرِ الْعالَمِ ، لِأُرِيَكَ مِنْ أَلْوانِ ٱلتَّفْكيرِ فى ٱلْأُمَمِ — قاصِيَةً وَدانِيَةً — ما تَبْتَهِجُ بِهِ نَفْسُكَ ، وَيَهَشُّ لهُ خاطِرُكَ (يَرْتاحُ لهُ قَلْبُكَ) .

وقد ذاعَتْ تِلْكَ الأَساطيرُ وأَنْتَشَرَتْ ، فِي مُخْتَلِفِ الأُمَمِ الشَّرْقِيَّةِ وأَلْغَرْبِيَّةِ ؛ وظَلَّتْ — مُنْذُ ٱلعُصُورِ ٱلقُدامَى — يَتَناقَلُها الْأَبْناءُ عَنِ الآباءِ ، ويَرْوِيها ٱلْحَفَدَةُ عَنِ ٱلْأَجْدادِ ، ويَحْكيها ٱلْخَلَفُ عَنِ ٱلسَّلَفِ ، حَتَّى وصَلَتْ إِلَيَّ — فِيمَنْ وَصَلَتْ إِلَيْهِمْ مِنَ ٱلنّاسِ — فَآثَرْتُ أَنْ أَرْوِيَها لَكَ بِأُسْلُوبٍ تَرْضاهُ ؛ لِتَقُصَّها أَنْتَ عَلَى غَيْرِكَ — كما قَصَصْتُها عَلَيْكَ — فَتَبْهَجَهُ بِها كَما أَبْتَهَجْتَ ، وتَنْفَعَهُ كَما انْتَفَعْتَ .

وأُحِبُّ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ هٰذه الأَساطيرَ ٱلَّتِي تَراها — أَوْ تَرى أَكْثَرَها — خَيالِيَّةً غَيْرَ مُمْكِنَةِ ٱلْوُقُوعِ : هِيَ خُلاصَةٌ رائِعَةٌ لِحَقائِقِ ٱلْحَياةِ ، ومَعْرِضٌ جَميلٌ تَتَجَلَّى فِيهِ نَزَعاتُ النَّفْسِ الإِنْسانِيَّةِ ، وتَظْهَرُ أَخْلاقُها ورَغَباتُها ، فِي الإِساءَةِ والإِحْسانِ .

وأنتَ إذا تدبّرتَ هذهِ الأقاصيصَ حقّ التّدبُّرِ ؛ وجدتَها مُوافقةً لِما يَظهرُ حولَكَ مِنْ أخلاقِ النّاسِ وغرائزِهِمْ . فَهِيَ إنّما تَصِفُ طِباعًا مَكينَةً ، وغرائزَ أصيلةً ثابتةً تُلابِسُ النّاسَ ، وتتّصِلُ بِهِمْ في كُلّ عصرٍ ومِصرٍ . وستَرى في هذهِ المجْموعةِ الّتي تخيّرتُها لكَ : أمْثِلَةً عُلْيا ، تُحبِّبُ إليْكَ الفضيلَةَ ، وتُبيّنُ لكَ — مِنْ مَزاياها وحُسْنِ آثارِها — ما يَزيدُكَ تَمسّكًا بما طُبِعْتَ عَلَيْهِ مِنْ نَبيلِ الخِلالِ ، وكَريمِ الخِصالِ ، وحَميدِ السّجايا ، ومَحْمُودِ الطّبائِعِ ، ومَرْضِيّ الأخلاقِ .

وقَبْلَ أنْ أبْدَأَ لكَ حَديثَ الأساطيرِ ، لا يفوتُني أنْ أُكَرّرَ عَلَيْكَ وصيّتي إليْكَ : أنْ تُطيلَ الرّوِيّةَ ، وتُديمَ التّفكّرَ والتّأمّلَ فِيما تَقرأُ مِنْها ، وأنْ تُحْسِنَ تَفَهُّمَها ؛ حَتّى يَتوضّحَ أمامَكَ مَغزاها العَميقُ ، ويتجلّى لكَ مُرادُها الدّقيقُ ، وهَدَفُها المجيدُ ، ومَرْماها البَعيدُ .

فإذا تحقّقَ لكَ هذا ، فقدْ تحقّقَ لِيَ الغرضُ الأسْمَى الّذي قصدْتُ إليْهِ حينَ فكّرْتُ في أنْ أختارَ لكَ هذهِ المجْموعَةَ مِنْ قِصَصِ العالَمِ وأساطيرِهِ[1] .

---

(١) نثبت في هذه الطبعة مقدمة الطبعة الأولى ، كما أثبتناها في الطبعات السابقة .

الفصل الأول

١ — عاشِقُ الذَّهَبِ

كانَ — في قَديمِ الزَّمانِ — مَلِكٌ مِنْ مُلوكِ الرُّومِ ، اسْمُهُ : الْمَلِكُ « مَيْداسُ » وكانَ لِهٰذا الْمَلِكِ بِنْتٌ صَغيرَةٌ ، جَميلَةُ الْوَجْهِ ، عَظيمَةُ الْخُلُقِ ، أسْماها : « مَرْيَمَ الذَّهَبِيَّةَ » .

ولَعَلَّكَ تَعْرِفُ مِنْ هٰذِهِ التَّسْمِيَةِ حُبَّ أَبيها وشَغَفَهُ بِالذَّهَبِ إلى حَدِّ أنْ أطْلَقَ اسْمَهُ عَلَى بِنْتِهِ .

وَلَقَدْ كانَ الْمَلِكُ « مَيْداسُ » يُحِبُّ بِنْتَهُ « مَرْيَمَ » حُبًّا شَديدًا . ولٰكِنَّ ذٰلِكَ الْحُبَّ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكورًا ، إذا قِيسَ إلى شَغَفِهِ بالذَّهَبِ ، وَوُلوعِهِ بالثَّراءِ .

كانَ ذٰلِكَ الرَّجُلُ مَفْتونًا بِحُبِّ الذَّهَبِ ، وكانَ يُنْفِقُ أيّامَهُ في جَمْعِه ، ويُؤْثِرُهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ في الدُّنْيا ، ولا يُفَكِّرُ في شَيْءٍ سِواهُ ، حَتَّى أطْلَقَ عَلَيْهِ النَّاسُ لَقَبَ : « عاشِقِ الذَّهَبِ » .

٢ — كَنْزُ « مَيْداسَ »

وقَدْ أحْرَزَ الْمَلِكُ « مَيْداسُ » تَلاًّ كَبيرًا مِنَ الذَّهَبِ ، وجَمَعَ في

قَصْرِهِ كَنْزًا ، لَمْ يَجْمَعْ مِثْلَهُ أَحَدٌ مِنْ قَبْلِهِ . وأَذْهَلَهُ حُبُّ الذَّهَبِ عَنْ كلِّ ما فى الدُّنْيا مِنْ مَباهِجَ ومَشاغِلَ ، وأَصْبَحَ لا يُطِيقُ أَنْ يَرَى شَيْئًا أمامَ عَيْنَيْهِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ عَسْجَدًا حُرًّا (ذَهَبًا خالِصًا) !

وقَدْ تَعَوَّدَ أَنْ يَقْضِيَ شَطْرًا كَبِيرًا مِنْ يَوْمِهِ فى سِرْدابٍ مُظْلِمٍ فى قَصْرِهِ ، لِيُمْتِعَ نَظَرَهُ بِرُؤْيَةِ ما فى كَنْزِهِ مِنَ الذَّهَبِ . وكانَ قَدْ شَيَّدَ ذٰلِكَ السِّرْدابَ الْمُظْلِمَ ، وخَبَأَ فِيهِ كَنْزَهُ الْمَمْلُوءَ بِالنَّفائِسِ الذَّهَبِيَّةِ ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ لِيُطِيقَ أَنْ يَبْقَى فى هٰذا السِّرْدابِ الْمُوحِشِ إِلَّا الْمَلِكُ « مَيْداسُ » وحْدَهُ .

٣ — أَحْلامُ « مَيْداسَ »

وكانَ إِذا دَخَلَ سِرْدابَهُ أَغْلَقَ بابَهُ عَلَيْهِ ، وأَحْكَمَ رِتاجَهُ (قُفْلَهُ) ، ثُمَّ أَجالَ بَصَرَهُ فى كَنْزِهِ ، وظَلَّ يَعُدُّ دَنانِيرَهُ وسَبائِكَهُ الْعَسْجَدِيَّةَ (الذَّهَبِيَّةَ) ويَحْمِلُها إلى طاقَةٍ صَغِيرَةٍ يَنْفُذُ مِنْها شُعاعٌ ضَئِيلٌ مِنْ أَشِعَّةِ الشَّمْسِ ، لِيُمْتِعَ نَظَرَهُ بِرُؤْيَةِ بَرِيقِها ولَمَعانِها . ولَمْ يَكُنْ يَرَى لِلشَّمْسِ فائِدَةً أَكْبَرَ مِنْ أَنَّها تَعْكِسُ أَضْواءَها عَلَى ذٰلِكَ الْمَعْدِنِ النَّفِيسِ الَّذِى لا يَعْدِلُهُ شَىْءٌ — فِى الدُّنْيا كُلِّها — نَفاسَةً وَخَطَرًا .

وَيَظَلُّ — طُولَ وَقْتِهِ — مَشْغُولًا بِتَعْدادِ ما فِي كَنْزِهِ مِنَ الذَّهَبِ ، وَوَضْعِ الدِّينارِ فَوْقَ الدِّينارِ ، وَالسَّبِيكَةِ فَوْقَ السَّبِيكَةِ .

وَكانَ يُقَلِّبُ القِطَعَ الذَّهَبِيَّةَ ، وَيَفْرُكُها بَيْنَ أَصابِعِهِ ، مُغْتَبِطًا مَسْرُورًا ، وَيُناجِي نَفْسَهُ قائِلًا :

« ما أَسْعَدَ حَظَّكَ يا « مِيداسُ » ! وَما أَوْفَرَ ثَراءَكَ ! »

* * *

وَلَقَدْ أَخْطَأَ فِي الأُولَى ، وَصَدَقَ فِي الثَّانِيَةِ ، فَقَدْ كانَ حَقًّا أَغْنَى النَّاسِ فِي عَصْرِهِ . ولٰكِنَّهُ — عَلَى وَفْرَةِ ذَهَبِهِ — لَمْ يَكُنْ سَعِيدًا ؛ لِأَنَّ نَفْسَهُ الشَّقِيَّةَ قَدْ حُرِمَتْ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ سَعاداتِ الْعالَمِ وَمَباهِجِهِ . وَكان « مِيداسُ » يَشْعُرُ — فِي نَفْسِهِ — أَنَّهُ لا يَزالُ فَقِيرًا إِلَى الْمالِ ، وَيَوَدُّ لَوْ أَصْبَحَ الْعالَمُ كُلُّه كَنْزًا مَمْلُوءًا بِالذَّهَبِ ، وَلا يَرْتاحُ لَهُ بالٌ إِلَّا إذا تَحَقَّقَتْ لَهُ هٰذِهِ الْأُمْنِيَّةُ .

٤ — الزَّائِرُ الْغَرِيبُ

وَكانَتْ تَحْدُثُ — فِي تِلْكَ الْعُصُورِ الْقَدِيمةِ — حَوادِثُ : نَراها عَجِيبَةً خارِقَةً لِلْعادَةِ ، فِي هٰذا الْعَصْرِ الَّذِي نَعِيشُ فِيهِ ؛ كَما أَنَّ فِي

عَصرِنا — مِنَ الْعجائِبِ الَّتى أَلِفْناها ، وَتَعَوَّدْنا رُؤْيَتَها — ما لَوْ رَأَى أَهْلُ تِلْكَ الْعُصُورِ الْقَدِيمةِ بَعْضَهُ ، لَتَمَلَّكَهُمُ الْعَجَبُ وَكَذَّبُوا أَعْيُنَهُمْ ، وَلَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يُصَدِّقُوا بِوُقُوعِهِ .

وَإِلَيْكَ شَيْئًا مِمَّا كانَ يَحْدُثُ لِلنَّاسِ مِنَ الْعَجائِبِ فِي تِلْكَ الْعُصُورِ الْغابِرَةِ :

جَلَسَ « مَيْداسُ » فِي كَنْزِهِ ، بَعْدَ أَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ بابَهُ . وَإِنَّهُ لَغارِقٌ فِي إِعْجابِهِ بِرُؤْيَةِ أَكْوامِهِ الْمُكَدَّسَةِ مِنَ الذَّهَبِ الْوَهَّاجِ ، إِذْ رَأَى طَيْفاً يُدانِيهِ .

فَنَظَرَ إِلَيْهِ « مَيْداسُ » مَدْهُوشاً . وَلَمْ يَعْلَمْ : كَيْفَ دَخَلَ هٰذا الزَّائِرُ الْغَرِيبُ كَنْزَهُ ، بَعْدَ أَنْ أَحْكَمَ رِتاجَ الْبابِ عَلَيْهِ .

فَأَدْرَكَ « مَيْداسُ » أَنَّ ذٰلِكَ الزَّائِرَ لَيْسَ مِنَ الإِنْسِ ، وَأَيْقَنَ أَنَّ ضَيْفَهُ لا بُدَّ أَنْ يَكُونَ تابِعاً (جِنِّيًّا) .

٥ — حِوارُ التَّابِعِ

وَأَجالَ « مَيْداسُ » لِحاظَهُ فِي ذٰلِكَ التَّابِعِ ، فَرَآهُ فَتًى فِي مُقْتَبَلِ شَبابِهِ ، وَرَأَى وَجْهَهُ فِي مِثْلِ بَياضِ الْفِضَّةِ ، وَشَعْرَهُ فِي مِثْلِ صُفْرَةِ الذَّهَبِ . وَقَدْ وَقَفَ ذٰلِكَ الشَّابُّ فِي شُعاعِ الشَّمْسِ الْبَرَّاقِ ، فَابْتَهَجَ

« مَيْداسُ » حِينَ رَآهُ ، وَخُيِّلَ إِلَيْهِ أَنهُ يَرَى أَمامَهُ سَبِيكَةً مِنْ سَبائِكِ الذهبِ الْوَهَّاجِ الْحَبِيبِ إِلى نَفْسِهِ

وأَجالَ الزَّائِرُ بَصَرَهُ فى أَرْجاءِ الْغُرْفَةِ ، وأطالَ تَأَمُّلَهُ فيما يحْوِيهِ كَنْزُ « مَيْداسَ » منْ سبائِكَ ذَهَبِيَّةٍ ونَفائِسَ ، ثُمَّ الْتفتَ إِلَيْهِ سائلاً :

« ما أَوْفَرَ ثَراءَكَ يا صدِيقِى « مَيْداسُ » ، فَما أَظُن أَنَّ فى الدُّنْيا كُلِّها أَحدًا قَدْ حوَى مِثْلَ هٰذا الْكَنْزِ نَفاسَةً ، وما أَعْلَمُ أَنَّ رجُلًا قَدِ اسْتَطاعَ أَن يجْمعَ مِثْلَ هٰذا الْقَدْرِ منَ الْمالِ ! »

فَقالَ لهُ « مَيْداسُ » : « صَدقْت يا عَزِيزِى ، وما أُرانِى جدِيرًا بِالتَّهْنِئَةِ ، فَلَيْسَ كَثِيرًا عَلَيَّ أَنْ أَظْفَرَ بِهٰذا الْكَنْزِ ، وقَدْ أَنفقْتُ حياتِى كُلَّها فى جَمْعِ الْمالِ ! »

فَقالَ لهُ الزَّائِرُ الْغَرِيبُ : « مِمَّ تَشْكُو أَيُّها الصَّدِيقُ ؟ أَلَسْتَ مُبْتَهِجًا بِما ظَفِرْتَ بِهِ منَ الْمالِ ؟ أَتطلُبُ الْمَزِيدَ يا عَزِيزِى ؟ »

فَسَكَتَ « مَيْداسُ » ، وأَوْمَأَ بِرَأْسِهِ إِيماءَةً خَفِيفَةً ، تدل عَلَى سُخْطِهِ ، وتُعَبِّرُ عَنْ تَبَرُّمِهِ وَضِيقِهِ وضَجَرِهِ بِحَظِّهِ التَّاعِسِ . ثُمَّ تَنَهَّدَ مُتَلَهِّفًا عَلَى تَحْقِيقِ أُمْنِيَتِهِ .

فَقالَ لهُ التَّابِـعُ (الْجِنِّيُّ) : « خَبِّرْنِي : ماذا تُرِيدُ ؟ وأيُّ شَيْءٍ يُرْضِيكَ ؟ تَمَنَّ عَلَيَّ الأمانِيَّ ، فإنِّي مُحَقِّقٌ لكَ ما تَتَمَنَّاهُ . »

٦ — أُمْنِيَّةُ « مَيْداسَ »

فَأَطْرَقَ « مَيْداسُ » بِرَأْسِهِ لَحْظَةً قَصِيرَةً ، ثُمَّ الْتَفَتَ إلى مُحَدِّثِهِ ، وقَدِ اهْتَدَى إلى فِكْرَةٍ بَدِيعَةٍ ، مَلَكَتْ عَلَيْهِ قَلْبَهُ ، وسَحَرَتْ مِنْهُ لُبَّهُ (فَتَنَتْ عَقْلَهُ) ، فَقالَ :

« إنَّ أَشَدَّ ما يَحْزُنُنِي : أَنَّنِي أَنْفَقْتُ حَياتِي ، وأَضَعْتُ أَيَّامِي كُلَّها في جَمْعِ الْمالِ . وما أُرانِي قَدْ ظَفِرْتُ إلا بِالْقَليل ، بَعْدَ هٰذا الْعَناءِ والْكَدِّ . فَهَلْ مِنْ سَبيلٍ إلى تَحْقيقِ أُمْنِيَّتِي الْعَزِيزَةِ ؟ »

فَأَجابَهُ التَّابِـعُ : « قُلْتُ لكَ : تَمَنَّ عَلَيَّ ما شِئْتَ مِنَ الأَمانِيِّ ، فَإِنِّي مُجِيبُكَ إلى ما تُرِيدُ . »

فابْتَهَجَ « مَيْداسُ » ، وتَهَلَّلَ وَجْهُهُ بِشْرًا (فَرَحًا) ، والْتَمَعَتْ عَيْناهُ سُرُورًا .

ثُمَّ قالَ لِلتَّابِعِ : « لَقَدْ عَشِقْتُ الذَّهَبَ ، فَما أَعْدِلُ بِهِ بَدِيلًا .

وليْسَ لِي فِي الْحَياةِ إلَّا أُمْنِيَّةٌ واحِدَةٌ ، وهِيَ أنْ يتَحَوَّلَ كلُّ شَيْء أَلْمِسُهُ ، فيُصْبِحَ ذَهَبًا خالِصًا وَهَّاجًا ! . . . »

فَقالَ لهُ التَّابِعُ :

« هٰذِهِ أُمْنِيَّةٌ عَزِيزَةُ الْمَنالِ ، وما أَظُنُّ أنَّ إدْراكَها يُرْضِيكَ ! والرَّأْيُ عِنْدِي أنْ تُطِيلَ تأَمُّلَكَ ، قَبْلَ أنْ أُجِيبَكَ إلى ما تَطْلُبُهُ . »

فَقالَ لهُ « مِيْداسُ » :

« ماذا تَقُولُ ياصاحِبِي ؟ أَفِي الدُّنْيا كُلِّها أُمْنِيَّةٌ أَعْذَبُ مِنْ هٰذِهِ الأُمْنِيَّةِ ؟ »

فَقالَ لهُ التَّابِعُ : « أَخْشَى أنْ تَنْدَمَ إذا أَجَبْتُكَ إلى رَغْبَتِكَ ! »

فَقالَ لهُ « مِيْداسُ » :

« كُنْ عَلَى ثِقَةٍ أَنِّي لا أَرْضَى بِهٰذِهِ الأُمْنِيَّةِ بَدِيلًا . »

فَقالَ لهُ التَّابِعُ ، وهُوَ يُوَدِّعُهُ ، مُبْتَعِدًا عَنْهُ :

« لَقَدْ أَجَبْتُكَ إلى طِلْبَتِكَ ؛ وسأُنَفِّذُ لَكَ أُمْنِيَّتَكَ ، فِي فَجْرِ الْيَوْمِ التَّالِي ، فَلَنْ تَلْمِسَ شَيْئًا — بَعْدَ ذٰلِكَ الْوَقْتِ — إلَّا تَحَوَّلَ نُضارًا (ذَهَبًا) خالِصًا وَهَّاجًا ! »

الفصل الثاني

١ — تَحْقِيقُ الأُمْنِيَّةِ

وَما أتمَّ التَّابِعُ كَلامَهُ ، حَتَّى تَلأْلأَ وَجْهُهُ نُورًا ، ثُمَّ اسْتَخْفَى عَنْ ناظِرَيْهِ. وَتَلفَّتَ « مِيْداسُ » — يَمْنَةً وَيَسْرَةً — فَلَمْ يرَ أَحَدًا فِي الْحُجْرَةِ ، إلَّا شُعاعَ الشَّمْسِ الَّذِي انْعَكَسَ عَلَى سَبائِكِ الذَّهَبِ الَّتِي أَفْنَى حَياتَهُ فِي جَمْعِها وادِّخارِها .

وَلَمْ تَذْكُرْ لَنا الأُسْطُورَةُ كَيْفَ قَضَى « مِيْداسُ » لَيْلَتَهُ ؟ وَهَلْ زارَ الْكَرَى جَفْنَيْهِ ، وَطَرَقَ النَّوْمُ عَيْنَيْهِ ؟ أَمْ ظَلَّ — طُولَ لَيْلِهِ — ساهِدًا (ساهِرًا) يَحْلُمُ بِتَحْقِيقِ الأُمْنِيَّةِ الَّتِي وَعَدَهُ بِها التَّابِعُ الظَّرِيفُ ؟ عَلَى أَنَّ قُصارَى الظَّنِّ ، بَلْ أَكْبَرَ الْيَقِينِ ، أَنَّهُ كانَ - مِنْ فَرْطِ سُرُورِهِ - أَشْبَهَ بِطِفْلٍ صَغِيرٍ وَعَدَهُ أَبُوهُ بِلُعْبَةٍ جَمِيلَةٍ يَشْتَرِيها لَهُ فِي الصَّباحِ الْباكِرِ ؛ فَباتَ الطِّفْلُ يَحْلُمُ بِهذِهِ اللُّعْبَةِ الْجَمِيلَةِ طُولَ لَيْلِهِ ، وَيَرَى فِي مَنامِهِ نُورَ ذلِكَ الطَّيْفِ الْجَمِيلِ الطَّلْعَةِ الَّذِي وَعَدَهُ بِتَحْقِيقِ أُمْنِيَّتِهِ الْغالِيَةِ .

وَلَمَّا لاحتْ تباشِيرُ الصَّباحِ ، اسْتَيْقَظَ الْمَلِكُ « مَيْداسُ » مِنْ نَوْمِهِ .
وَلَمْ يَكَدْ يرَى أَوَّلَ شُعاعٍ مِنْ أَشِعَّةِ الشَّمْسِ يَنفُذُ إِلى حُجْرَتِهِ ، حَتَّى رأى
تَحْقِيقَ أُمْنِيَّتِهِ عِيانًا .

ولَقَدِ اسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ الدَّهْشَةُ ، وَتَمَلَّكَتْهُ الْحَيْرة ، حِينَ رَأَى غِطاءهُ —
الَّذِي كانَ يَلْتَحِفُ بِهِ — قَدْ أَصْبَحَ ذَهَبًا خالِصًا وَهَّاجًا .

٢ — جُنُونُ الْفَرَحِ

وَلا تَسَلْ عَنْ فَرَحِ « مَيْداسَ » بِما رَآهُ . فَقَدِ امْتَلأَتْ نَفْسُهُ بَهْجَةً
وانْشِراحًا ، وَفاضَ السرُور عَلَى قَلْبِهِ فَأَذْهَلَهُ ، وشَرَّدَ عَقْلَهُ . وَأَنْساه فَوْزُهُ
وَنَجاحُهُ كلَّ شَيْءٍ ، فَأَسْرَعَ يَجْرِى فِي حُجْرَتِهِ ، وَيَلْمِسُ كلَّ شَيْءٍ يُصادِفُهُ
فيها ؛ فلا يَكادُ يفْعَلُ ، حَتَّى يُصْبِحَ ما يَمَسُّهُ ذهَبًا خالِصاً وَهَّاجًا !

ثُمَّ لَمَسَ « مَيْداسُ » أَحَدَ أَعْمِدَةِ سَرِيرِهِ ، فَإِذا بِالسَّرِيرِ كلِّهِ قَدْ ثَقُلَ
وَزْنُهُ ، وَأَصْبَحَ — فِي الْحالِ — كُتْلَةً مِنَ الذَّهَبِ .

ثُمَّ عَجَّلَ بارْتِداء ملابِسِهِ ، وَلَمْ يَكَدْ يَفْعَلُ حَتَّى رَآها كُلَّها قَدْ أَصْبَحَتْ
مِنَ الْجُوخِ الذَّهَبِيِّ النَّاعِمِ الْجَمِيلِ . وَرَآها سَهْلَةَ الِانْثِناء ، قَلِيلَةَ الثقل ،

ظَرِيفَةَ الشَّكْلِ . وَلَمْ يَكَدْ يَلْمِسُ مِنْدِيلَهُ الصَّغِيرَ الَّذِي وَشَّتْهُ لَهُ ابْنَتُهُ « مَرْيَمُ الذَّهَبِيَّةُ » ، حَتَّى تَحَوَّلَ ذَهَبًا إِبْرِيزًا ، وَتَحَوَّلَتْ خُيُوطُهُ وَوَشْيُهُ ذَهَبًا .

ثُمَّ أَخْرَجَ مِنْظَارَهُ مِنْ جَيْبِهِ ، وَما وَضَعَهُ عَلَى أَنْفِهِ ، حَتَّى تَمَلَّكَتْهُ الدَّهْشَةُ ، وَحارَ فِي أَمْرِهِ ، إِذْ رَأَى أَنَّهُ لا يُبْصِرُ — بِمِنْظارِهِ — شَيْئًا . فَلَمَّا أَنْعَمَ النَّظَرَ فِيهِ ، رَأَى زُجاجَتَيْهِ قَدْ تَحَوَّلَتا ذَهَبًا خالِصًا . عَلَى أَنَّ «مِيداسَ» رَأَى أَنَّ مِنْظارَهُ قَدْ أَصْبَحَ — بَعْدَ ذٰلِكَ — لا فائِدَةَ مِنْهُ ، وَإِنْ غَلَتْ قِيمَتُهُ ، وَارْتَفَعَ ثَمَنُهُ . فَقَدْ كانَتْ زُجاجَتاهُ أَنْفَعَ لِعَيْنَيْهِ مِنْ قِطْعَتَيِ الذَّهَبِ اللَّتَيْنِ تَحَوَّلَتا إِلَيْهِما ، فَساوَرَ نَفْسَهُ شَيْءٌ مِنَ الْقَلَقِ والضِّيقِ . وَلٰكِنَّ فَرَحَهُ — بِتَحْقِيقِ أُمْنِيَّتِهِ — قَدْ أَنْساهُ التَّفْكِيرَ فِي أَيِّ شَيْءٍ آخَرَ !

واسْتَوْلَى الْفَرَحُ عَلَى نَفْسِهِ ، وَطَغَى عَلَيْهِ السُّرُورُ ، حَتى خُيِّلَ إِلَيْهِ أَنَّهُ قَدْ أَصْبَحَ أَسْعَدَ مَنْ فِي الْعالَمِ ، وأَنَّ قَصْرَهُ الرَّحِيبَ (الْفَسِيحَ) أَضْيَقُ مِنْ أَنْ يَسَعَهُ مِنْ فَرْطِ السُّرُورِ .

ثُمَّ هَبَطَ السُّلَّمَ ، وَلَمْ يَكَدْ يَلْمِسُ الدَّرابِزِينَ ، حَتى تَحَوَّلَ ذَهَبًا ، وَما فَتَحَ بابَ الْحَدِيقَةِ ، حَتى تَحَوَّلَ الْبابُ ذَهَبًا كَذٰلِكَ .

وَلَمَّا دَخَلَ الْحَدِيقَةَ ، رَأَى الْوُرُودَ والْأَزْهارَ الشَّذِيَّةَ الْمُزْدَهِرَةَ ، وَقَدْ

هبَّتْ عَلَيْهِ نَفْحَتُها (رائِحَتُها) الْعَطِرَةُ ، مَعَ نَسِيمِ الصَّباحِ .

فَأَسْرَعَ إِلَيْها ، يَلْمِسُها واحِدَةً بَعْدَ الأُخْرى . وَما كادَ يَفْعَلُ حَتّى تَحَوَّلَتْ ذَهَبًا خالِصًا .

٣ — شَكْوى « مَرْيَمَ »

ثُمَّ حانَ وَقْتُ الْفُطُور ، وكانَ هَواءُ الصَّباحِ قَدْ أَجاعَهُ ، فَعادَ في طَريقِهِ إلى الْقَصْرِ .

وبَحَثَ عَنْ فَتاتِهِ الصَّغيرَةِ « مَرْيَمَ الذَّهَبِيَّةِ » ، فَلَمْ يَرَها جالِسَةً إلى الْمائِدَةِ . فَأَمَرَ بِاسْتِدْعائِها إلَيْهِ ، وجَلَسَ إلى الْمائِدَةِ يَتَرَقَّبُ عَوْدَتَها . وبَعْدَ لَحَظاتٍ قَليلَةٍ : رَآها قادِمَةً عَلَيْهِ ، مَحْزُونَةً باكِيَةً . فَدَهِشَ لِبُكائِها .

وكانَتْ هٰذِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ يَراها باكِيَةً حَزِينَةً . فَأَرادَ أَبُوها أَنْ يُزِيلَ حُزْنَها ، ويُدْخِلَ السُّرُورَ عَلى قَلْبِها ، ويُفاجِئَها مُفاجَأَةً سارَّةً . فَأَمْسَكَ بِقَدَحِها ، فَتَحَوَّلَ الْقَدَحُ ذَهَبًا خالِصًا وَهّاجًا .

وحَسِبَ الْمَلِكُ « مَيْداسُ » أَنَّ هٰذِهِ الْمُفاجَأَةَ سَتُدْخِلُ السُّرُورَ وَالْفَرَحَ

عَلى بِنْتِهِ الْعَزِيزَةِ : « مَرْيَمَ الذَّهَبِيَّةِ » . ولٰكِنَّهُ رَأَى أَنَّها لَمْ تَكُفَّ عَنِ النَّحِيبِ (الْبُكاءِ) . فَسَأَلَها « مَيْداسُ » :

« أَيُّ خَطْبٍ — يا عَزِيزَتِي — أَلَمَّ بِكِ ؟ »

فَقالَتْ لَهُ : « أُنْظُرْ إِلى هٰذِهِ الزَّهْرَةِ ! »

فقالَ لَها : « ما أَجْمَلَها وَرْدَةً ، وما أَبْدَعَ مَنْظَرَها ، وأَبْهَجَ شَكْلَها ! » ؛ فَقالَتْ « مَرْيَمُ » : « بَلْ ما أَقْبَحَها وَرْدَةً ، وما أَسْمَجَ مَرْآها ، وأَرْدَأَ شَكْلَها ! إِنَّنِي لا أُطِيقُ رُؤْيَتَها . وهِيَ — في نَظَرِي — أَقْبَحُ وَرْدَةٍ في الدُّنْيا إِلى الْآنَ . »

ثُمَّ اسْتَأْنَفَتْ « مَرْيَمُ » قائِلَةً : « أَتَدْرِي ماذا لَقِيتُ الْيَوْمَ ، يا أَبَتاهُ ؟ لَقَدْ ذَهَبْتُ إِلى الْحَدِيقَةِ لِأَقْطِفَ — مِنْ شُجَيْراتِها — وَرْدَةً . . . . أَتَعْرِفُ ماذا حَدَثَ ؟ وَيْلاهُ ! يا لَها كارِثَةً حَلَّتْ بِالْحَدِيقَةِ الْجَمِيلَةِ ! لَقَدْ ذَبُلَ الْوَرْدُ في حَدِيقَتِنا ، وَاصْفَرَّ لَوْنُهُ ، ولَمْ تَفُحْ مِنْهُ تِلْكَ الرَّائِحَةُ الذَّكِيَّةُ الَّتِي تَمْلَأُ الْأَرْجاءَ عِطْرًا ، وتُكْسِبُ النُّفُوسَ بَهْجَةً وانْشِراحًا . فَأَيُّ خَطْبٍ أَلَمَّ بِحَدِيقَتِنا ؟ وأَيُّ كارِثَةٍ أَصابَتْنا في وُرُودِها وَأَزْهارِها الشَّذِيَّةِ الْعَطِرَةِ ؟ »

فَخَجِلَ « مَيْداسُ » مِمَّا حَدَثَ بِحَدِيقَتِهِ الْجَمِيلَةِ ، ولَمْ يَجْرُؤْ عَلَى إخْبارِها بِأَنَّهُ مَصْدَرُ هٰذِهِ الْمُصِيبَةِ .

ثُمَّ قالَ لَها باسِماً ، لِيُنْسِيَها حُزْنَها عَلَى وَرْدَتِها الْعَزِيزَةِ :

« لا عَلَيْكِ — يا بُنَيَّتِي — ما أَصابَ وَرْدَتَكِ مِنَ الاِصْفِرارِ . عَلَى أَنَّنِي لَسْتُ أَدْرِي : لِمَ تَحْزَنِينَ ؟ أَلا يَسُرُّكِ أَنْ تَظْفَرِي بِوَرْدَةٍ مِنَ الذَّهَبِ ، تَبْقَى مِئاتِ السِّنِينَ ، دُونَ أَنْ تَذْبُلَ ؟ أَلا تَرْضَيْنَ بِها بَدِيلًا مِنْ وَرْدَةٍ لا تَلْبَثُ يَوْماً كامِلًا ، حَتَّى تَذْبُلَ ؟ هَوِّنِي عَلَيْكِ يا عَزِيزَتِي ، واشْرَبِي ما أُعِدَّ لَكِ مِنْ حَساءٍ (مَرَقٍ) لَذِيذٍ . »

٤ — عَلَى الْمائِدَةِ

وجَلَسَتْ « مَرْيَمُ » الصَّغِيرَةُ إلى الْمائِدَةِ ، وقَدْ أَنْساها حُزْنُها كُلَّ ما حَوْلَها مِنَ الْمُفاجَآتِ والْعَجائِبِ ، فَلَمْ تَفْطُنْ إلى تَحَوُّلِ الصَّفائِحِ والأَطْباقِ كُلِّها ذَهَباً خالِصًا .

أَمَّا « مَيْداسُ » فَإِنَّهُ ما لَمَسَ فِنْجانَةَ الْقَهْوَةِ ، حَتَّى تَحَوَّلَتِ الْفِنْجانَةُ ذَهَباً خالِصًا . فاشْتَدَّ سُرُورُهُ ، وظَلَّ يُفَكِّرُ فِي الْوَسِيلَةِ الَّتِي تُمَكِّنُهُ مِنْ

حِفظِ هٰذهِ ٱلْكنُوزِ الذَّهبِيَّةِ كلِّها ، حتَّى لا يَسْطُوَ عَلَيْها أحَدٌ ، ولا تَمْتَدَّ إليْها أيْدِي اللُّصوصِ .

وإنّهُ لغارِقٌ في تفكيرِهِ ، إذْ رَأى ما لَمْ يَكُنْ فِي الْحُسْبانِ ، وأبْصَرَ مالَمْ يَكُنْ لِيَمُرَّ لهُ عَلَى بالٍ . تُرَى ماذا رأى ؟

لقَدْ وجَدَ أنَّ الْقَهْوَةَ — ٱلَّتِي كانَتْ فِي فِنجانَتِهِ — لَمْ تَكَدْ تَمَسُّ شَفَتَيْهِ ، حتَّى تَحَوَّلَتْ ذَهَباً سائِلاً وَهَّاجاً ، ثُمَّ جَمَدَتْ — بَعْدَ لَحْظَةٍ قَصِيرَةٍ — فَأَصْبَحَتْ قِطْعَةً صُلْبَةً مِنَ ٱلذَّهَبِ !

٥ — حُزْنُ « مَيْداسَ »

فارْتاعَ « مَيْداسُ » وفَزِعَ وتَألَّمَ ، واسْتَوْلَى عَلَيْهِ الْحُزْنُ والْغَمُّ . وَصاحَ مَهْمُوماً : « آهِ ! يالَشَقائِي وحَيْرَتِي وتَعاسَتِي ! »

ثُمَّ تَعاظَمَتْهُ الْحَيْرَةُ ، وتَمَلَّكَهُ الدَّهَشُ ، إِذْ رَأَى أَنَّ كُلَّ طَعامٍ يَلْمِسُهُ ، لا يَلْبَثُ أنْ يَسْتَحِيلَ ذَهَباً خالِصًا ، مِنْ فَوْرِهِ . وَثَمَّةَ أدْرَكَ أنَّهُ لَنْ يَظْفَرَ بِغِذاءٍ بَعْدَ الْيَوْمِ ؛ وَأَنَّهُ لا بُدَّ هالِكٌ جُوعاً .

فَأَسْنَدَ ظَهْرَهُ إِلَى كُرْسِيِّهِ ، وَأَطالَ تَأَمُّلَهُ فى بِنْتِهِ وَهِىَ تَلْتَهِمُ طَعامَها شَهِيًّا سائِغًا .

فَقالَ فِى نَفْسِهِ :

« يا لَشَقائِى ! فَإِنِّى أَرَى أَمامِى طَعامًا فاخِرًا شَهِيًّا ، ثُمَّ لا أَسْتَطِيعُ أَن أَتَذَوَّقَ مِنْهُ شَيْئًا ! »

وَشَعَرَتْ « مَرْيَمُ » أَنَّ أَباها حَزِينٌ واجِمٌ عاجِزٌ عَنِ الْكَلامِ مِنْ شِدَّةِ الْغَمِّ . وَكانَتْ تُحِبُّهُ حُبًّا جَمًّا ، فَحَزِنَتْ لِحُزْنِهِ ، وَقالَتْ لَهُ :

« خَبِّرْنِى — يا أَبِى — ماذا بِكَ ؟ فَإِنِّى أَراكَ قَلِقًا مَهْمُومًا ! »

فَقالَ لَها « مِيداسُ » وَهُوَ يُصَعِّدُ الزَّفَراتِ حُزْنًا وَأَلَمًا :

« لِلّٰهِ أَبُوكِ — يا بُنَيَّتِىَ الْعَزِيزَةَ — فَقَدْ حَلَّتْ بِهِ الْخُطُوبُ وَالْمِحَنُ (الْمَصائِبُ) . وَما يَدْرِى والِدُكِ الْمِسْكِينُ : كَيْفَ تَكُونُ خاتِمَةُ أَيّامِهِ التَّاعِسَةِ ؟ »

٦ — خاتِمَةُ النَّكَباتِ

أَيُّها الطِّفْلُ الْعَزِيزُ : هَلْ سَمِعْتَ — طُولَ عُمْرِكَ — أَنَّ رَجُلًا قَدْ

بَلَغَ مِنَ التَّعاسَةِ وَالْخَيْبَةِ ما بَلَغَهُ هٰذا التَّاعِسُ الْمِسْكِينُ ؟

فَهُوَ يَرَى أَمامَهُ أَشْهَى طَعامٍ ، ثُمَّ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَذَوَّقَ مِنْهُ لُقْمَةً واحِدَةً ! أَلَا تَرَى أَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ فَقْرًا ، قَدْ أَصْبَحَ أَغْنَى مِنْ هٰذا الْمَلِكِ ، وَأَسْعَدَ مِنْهُ حالًا ، وَأَهْنَأَ بالًا ؟ أَلَا تَرَى أَنَّ كِسْرَةً مِنَ الْخُبْزِ يَأْكُلُها عامِلٌ فَقِيرٌ ، وَقَدَحًا مِنَ الْماءِ يَشْرَبُهُ ، يَرْجَحانِ ثَرْوَةَ هٰذا الْغَنِيِّ التَّاعِسِ كُلَّها ، وَيَزِيدانِ عَلَى كُلِّ ما يَمْلِكُ مِنْ نَفائِسَ وَكُنُوزٍ ؟ أَلَسْتَ تَرْثِي لِحالِهِ ، وَتَحْزَنُ لِما آلَ إِلَيْهِ أَمْرُهُ ؟ فاسْمَعْ — أَيُّها الطِّفْلُ الْعَزِيزُ — خاتِمَةَ النَّكَباتِ ، وَآخِرَةَ الْمَصائِبِ الَّتِي أَلَمَّتْ بِهِ :

لَقَدِ اشْتَدَّ بِهِ الْجُوعُ ، وَجَهَدَهُ الْعَطَشُ ، وَتَمَلَّكَتْهُ الْحَيْرَةُ ، وَاسْتَوْلَى عَلَيْهِ الْأَلَمُ ، وَاسْتَبَدَّ بِهِ الْحُزْنُ . فَظَلَّ يَتَنَهَّدُ : حَسْرَةً عَلَى مآلِهِ ، وَفَزَعًا مِنْ مَصِيرِهِ التَّاعِسِ . وَحاوَلَتْ « مَرْيَمُ » أَنْ تَعْرِفَ سِرَّ آلامِهِ ، وَمَصْدَرَ أَحْزانِهِ ، فَلَمْ يَبُحْ لَها بِشَيْءٍ .

فَلَمْ تُطِقْ صَبْرًا عَلَى ما أَصابَهُ ، وَدَفَعَها حُبُّها لَهُ ، فَطَوَّقَتْ رُكْبَتَيْهِ بِذِراعَيْها ، فانْحَنَى عَلَيْها يُقَبِّلُها فِي جَبِينِها ، شاكِرًا لَها حُنُوَّها وبِرَّها ، وَقَدْ شَعَرَ أَنَّ حُبَّ ابْنَتِهِ يَرْجَحُ مِلْءَ الدُّنْيا ذَهَبًا .

وَلَمْ يَكَدْ يُقبِّلُها ، وَيَشْكُرُ لَها إخْلاصَها ، حَتَّى رَأَى ما لَمْ يَخْطُرْ لَهُ عَلَى بالٍ .

فَصاحَ مَذْعُورًا خائِفًا : « أَجِيبِينِي أَيَّتُها الْعَزِيزَةُ . أَجِيبِي نِداءَ أَبِيكِ يا « مَرْيَمُ » الْحَبِيبَةُ الْمُخْلِصَةُ ! »

ولٰكِنَّ « مَرْيَمَ » لَمْ تُجِبْ أَباها ، ولَمْ تَنْطِقْ بِحَرْفٍ واحِدٍ . فَماذا حَدَثَ ؟

لَقَدْ حَلَّتْ بِـ « مَيْداسَ » خاتِمَةُ النَّكَباتِ ؛ إِذْ تَحَوَّلَتْ بِنْتُهُ الْعَزِيزَةُ قِطْعَةً مِنَ الذَّهَبِ ، حِينَ لَمَسَتْ شَفَتاهُ جَبِينَها !

٧ — شَقاءُ الْوالِدِ الْحَزِينِ

وَما إِنْ رَأَى ما حَلَّ بِابْنَتِهِ الْعَزِيزَةِ ، حتَّى لَعَنَ الذَّهَبَ ، ولَعَنَ السَّاعَةَ الَّتِي ظَفِرَ فِيها بِتَحْقِيقِ هٰذِهِ الْأُمْنِيَّةِ الْحَمْقاءِ .

فَقَدْ تَحَوَّلَ وَجْهُ تِلْكَ الْفَتاةِ الصَّغِيرَةِ عَنْ حُمْرَةِ الْوَرْدِ ، إِلى صُفْرَةِ الذَّهَبِ . وكانَ وَجْهُها — مُنْذُ لَحْظَةٍ — مُشْرِقًا بِالْحَياةِ ، فَيّاضًا بِالإِخْلاصِ والْحُبِّ ، فَأَصْبَحَ الْآنَ وجْهًا أَصْفَرَ بَرّاقًا . وتَحَوَّلَتْ حَلَقاتُ شَعْرِها

الْجَمِيلِ : حَلَقاتٍ ذَهَبِيَّةً مُصْفَرَّةً . وجَمَدَ جِسْمُهـا اللَّطِيفُ بَيْنَ ذِراعَىْ أبِيها .

فَيالَهَوْلِ الْمُصِيبَةِ ! ويَا لَشَقاءِ والِدِها التَّاعِسِ الْحَزِينِ !

لَقَدْ ذَهَبَتْ « مَرْيَمُ » العَزِيزَةُ فَرِيسَةَ أبِيها ، وتَحَوَّلَتِ الطِّفْلَةُ تِمْثالًا مِنَ الْعَسْجَدِ (الذَّهَبِ) .

لَقَدْ كانَ « مَيْداسُ » يَقُولُ فى كلِّ وَقْتٍ :

« إنَّ ابْنَتِى تُساوِى مِثْلَ وَزْنِها ذَهَبًا ! »

أمَّا الآنَ ، فَإنَّهُ يَشْعُرُ — بَعْدَ فَواتِ الْفُرْصَةِ — أنَّ كُنُوزَ الدُّنْيا كلَّها لا تُساوِى قَلْبَها الْحَنُونَ .

الآنَ يَرَى أنَّ الدُّنْيا — إذا مُلِئَتْ كلُّها ذَهَبًا ، وتَكَدَّسَتْ أكْوامُ الْعَسْجَدِ فَمَلَأَتْ ما بَيْنَ الْأَرْضِ والسَّماءِ — لَنْ تَعْدِلَ بِنْتَهُ الْعَزِيزَةَ « مَرْيَمَ » .

الفصل الثالث

١ — عَوْدَةُ التَّابِعِ

وأطالَ « مَيْداسُ » تَأَمُّلَهُ ، واسْتَغْرَقَ فى تَفْكيرِهِ ، حَتّى كادَ يُسْلِمُهُ الْحُزْنُ إلى الذُّهُولِ .

وإنَّهُ لَغارِقٌ فى أحْزانِهِ وآلامِهِ ، إذْ رَأى أمامَه ذلكَ التَّابِعَ الَّذِى كانَ يُحَدِّثُهُ بالأَمْسِ .

فَطَأْطَأَ رَأْسَهُ خَجِلًا ، ولَمْ يَجْرُؤْ على مُخاطَبَتِهِ .

فالْتَفَتَ إلَيْهِ التَّابِعُ ، وقالَ لهُ ساخِرًا :

« لَعَلَّكَ سَعِيدٌ بِما ظَفِرْتَ بِهِ مِنْ كُنُوزِ الذَّهَبِ ، أيُّها الصَّدِيقُ الْعَزِيزُ ؟ »

فَقالَ لهُ « مَيْداسُ » :

« لَيْسَ فى الدُّنْيا كُلِّها أشْقَى مِنِّى ! »

فَقالَ لهُ التَّابِعُ :

« كَيْفَ شَقِيتَ ؟ أجادٌّ أنتَ فِيما تقُولُ ؟

أَلَمْ أَبَرَّ بِوَعْدِي لَكَ ، وأُوفِ لكَ بِما عاهَدْتُكَ عَلَيْهِ ؟

أَلَمْ أُنجِزْ لكَ أُمْنِيَّتَكَ ؟ فَبِمَ تَشْكُو بَعْدَ ذٰلكَ ؟ »

فَقالَ « مَيْداسُ » :

« لَقَدْ آمَنْتُ الآنَ أنَّ الذَّهَبَ لَيْسَ — كَما ظَنَنْتُ — أَثْمَنَ شَيْءٍ فِي الْعالَمِ وَأَيْقَنْتُ أنَّ السَّعادَةَ شَيْءٌ آخَرُ ! »

فَقالَ لَهُ التَّابِعُ :

« لَقَدْ تَغَيَّرَ رَأْيُكَ الْيَوْمَ ، وَأَصْبَحْتُ أَسْمَعُ مِنْكَ ما لَمْ أَسْمَعْهُ بِالْأَمْسِ وَإِنِّي سائِلُكَ — يا « مَيْداسُ » — فَأَجِبْنِي فِي صَراحَةٍ :

أَيُّ الْأَمْرَيْنِ أَجْدَى عَلَيْكَ : مِلْءُ الْعالَمِ ذَهَباً ، أَمْ قَدَحٌ مِنَ الْماءِ الْعَذْبِ ؟ »

فَصاحَ « مَيْداسُ » :

« إِنَّ قَدَحاً مِنَ الْماءِ الْعَذْبِ — أَثْمَنُ — عِنْدِي — مِنْ كُنُوزِ الْأَرْضِ كُلِّها . فَمَنْ لِي بِهِ الْآنَ ؟ فَقَدْ جَفَّ حَلْقِي ، وَكِدْتُ أَهْلِكُ مِنَ الْعَطَشِ . آهِ ! ما أَعْذَبَ الْماءَ ! وَما أَعْظَمَ نَفْعَهُ لِلنَّاسِ ! أَيُّها الْماءُ الْمُبارَكُ : أَنَّى لِي بِكَ ؟ »

فاسْتَأْنَفَ التَّابِعُ قائِلًا :

« خَبِّرْنى أَيُّها الصَّدِيقُ : أَىُّ الأَمْرَيْنِ أَجْدَى عَلَيْكَ ، وَأَنْفَعُ لَكَ : مِلْءُ الأَرْضِ ذَهَبًا ، أَمْ كِسْرَةُ خُبْزٍ ؟ »

فَقالَ « مَيْداسُ » مُتَلَهِّفًا حَزِينًا :

« إِنَّ كِسْرَةً مِنَ الْخُبْزِ ، لَتَرْجَحُ كُنُوزَ الدُّنْيا قاطِبَةً ! »

فَقالَ لَهُ التَّابِعُ :

« فَخَبِّرْنى : أَىُّ الأَمْرَيْنِ أَنْفَعُ لَكَ : مِلْءُ الأَرْضِ ذَهَبًا ، أَمْ بِنْتُكَ مَرْيَمُ ؟ »

فَصاحَ « مَيْداسُ » الْمِسْكِينُ نادِمًا ، وَهُوَ يَعَضُّ بَنانَهُ (رُءُوسَ أَصابِعِهِ) :

« آهِ ! يا لَشَقائِى ! إِنَّ كُنُوزَ الدُّنْيا كُلَّها لا تُساوِى عِنْدِىَ ابْتِسامَةَ ابْنَتِىَ الْعَزِيزَةِ ! »

٢ – خاتِمَةُ الْحِوارِ

فَقالَ التَّابِعُ جادًّا :

« الآنَ عَقَلْتَ يا « مَيْداسُ » ، وَأَفَقْتَ مِنْ ضَلالِكَ . الآنَ أَدْرَكْتَ – فِيما أَرَى – أَنَّ أَتْفَهَ الأَشْياءِ الَّتِى لا يَعْجِزُ عَنْ إِدْراكِها أَفْقَرُ النَّاسِ ، أَثْمَنُ مِنْ

كُنُوزِ الأرْضِ كُلِّها ! فَخَبِّرْنى ؛ وَلا تَكْذِبْنِيَ الْقَوْلَ : أتُرِيدُ أنْ تَرْجِعَ كَما كُنْتَ ، وَتَعُودَ سِيرَتَكَ الأُولَى ؟ »

فَقالَ « مَيْداسُ » :

« لَيْسَ أحَبَّ إلى نَفْسِي مِنْ تَحْقِيقِ هٰذِهِ الأُمْنِيَّةِ ! »

فَقالَ لَهُ التَّابِعُ :

« لا عَلَيْكَ — يا صَدِيقِى — فاذْهَبْ إلى الْغَدِيرِ الَّذِى يَجْرِى فِى حَدِيقَتِكَ ، وَاسْتَحِمَّ فِيهِ . ثُمَّ امْلأْ مِنْ مائِهِ إناءً وَاسْكُبْ مِنْهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ تُرِيدُ أنْ تُعِيدَهُ إلَى أصْلِهِ . »

ثُمَّ اسْتَخْفَى التَّابِعُ مِنْ فَوْرِهِ .

٣ — السَّعادَةُ بَعْدَ الشَّقاءِ

وَلا تَسَلْ — أيُّها الطِّفْلُ العَزِيزُ — عَنْ فَرَحِ « مَيْداسَ » بِما سَمِعَهُ مِنَ التَّابِعِ (الْجِنِّىِّ) ، فَقَدِ اسْتَوْلَى عَلَيْهِ السُّرُورُ .

وَلَمْ يُضِعْ وَقْتَهُ عَبَثاً ، فَجَرَى مُسْرِعاً إلَى جَرَّةٍ كَبِيرَةٍ مِنَ الفَخَّارِ ، وَلَمْ يَكَدْ يَلْمِسُها ، حَتَّى تَحَوَّلَتْ ذَهَباً . ثُمَّ أسْرَعَ يَعْدُو حَتَّى بَلَغَ الْغَدِيرَ ، فَألْقَى

بِنَفْسِهِ فِيهِ . وَقَدْ أَنْساهُ فَرَحُهُ أَنْ يَخْلَعَ ثِيابَهُ وَحِذاءَهُ . ثُمَّ مَلأَ الْجَرَّةَ مِنْ ماءِ ، فَتَحَوَّلَتِ الْجَرَّةُ فَخّارًا كَما كانَتْ . فَطابَتْ نَفْسُهُ بِذٰلِكَ ، وَشَعَرَ بِالسَّعادَةِ كامِلَةً مَوْفُورَةً ، وَتَخَلَّصَ مِنْ ذٰلِكَ الْهَمِّ الثَّقِيلِ .

ثُمَّ قَفَلَ راجِعًا إِلَى قَصْرِهِ ، وَسَكَبَ قَطَراتٍ مِنَ الْماءِ عَلَى ابْنَتِهِ الصَّغِيرَةِ « مَرْيَمَ » ، فَعادَتْ — كَما كانَتْ — مَوْفُورَةَ الصِّحَّةِ ، مُوَرَّدَةَ الْخَدَّيْنِ ، مُشْرِقًا وَجْهُها بِالْحَياةِ . وَقَدْ عَجِبَتِ الْفَتاةُ الصَّغِيرَةُ أَنْ رَأَتْ أَباها يُبَلِّلُها بِالماءِ ، ولم تَدْرِ ما حَدَثَ وَلَمْ تَذْكُرْ شَيْئًا مِمّا وَقَعَ لَها .

وَأَخْفَى الْمَلِكُ « مِيداسُ » عَنِ ابْنَتِهِ « مَرْيَمَ » حَقِيقَةَ ما حَدَثَ ، حَتَّى

لا يُظْهِرَ لَها حَماقَتَهُ وَجُنُونَه ، فِيما ذَهَبَ إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ .

ثُمَّ صَبَّ الْماءَ عَلَى شُجَيْراتِ الْوَرْدِ وَالْأَزْهارِ فَعادتِ الْوُرودُ إِلَى حالِها الْأُولَى ، وَعادَتِ الْحَدِيقَةُ بَهِيجَةً ، عَطِرَةَ الشَّذَى ، رائِعَةَ الْحُسْنِ ، تَسُرُّ النَّاظِرِينَ .

٤ — خاتِمَةُ الْقِصَّةِ

وَقَضَى « مِيداسُ » بَقِيَّةَ حَياتِهِ سَعِيدًا ، وادِعَ الْبالِ ، مُرْتاحَ الْقَلْبِ ، قَرِيرَ الْعَيْنِ (هادِئَ النَّفْسِ)

وَلَمْ يَبْقَ مِنْ ذِكْرَياتِ هٰذا الْحادِثِ إِلَّا شَيْءٌ واحِدٌ : هُوَ شَعْرُ ابْنَتِهِ الْجَمِيلُ ، الَّذِى ظَلَّ يَبْرُقُ لَمَّاعًا كالذَّهَبِ .... !

رقم الإيداع		١٩٩١ / ٤٣٣٤
الترقيم الدولى	977 – 02 – 3325 – 6	ISBN

١ / ٩١ / ١١٣

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

مكتبة الأطفال بقلم كامل كيلانى

قصص فكاهية

١ عمارة . ٢ الأرنب الذكى .
٣ عفاريت اللصوص . ٤ نعمان .
٥ العرندس . ٦ أبو الحسن .
٧ حذاء الطنبورى . ٨ بنت الصباغ .

قصص من ألف ليلة

١ بابا عبد الله والدرويش .
٢ أبو صير وأبو قير . ٣ على بابا .
٤ عبد الله البرى وعبد الله البحرى .
٥ الملك عجيب . ٦ خسروشاه .
٧ السندباد البحرى . ٨ علاء الدين .
٩ تاجر بغداد . ١٠ مدينة النحاس .

قصص هندية

١ الشيخ الهندى . ٢ الوزير السجين .
٣ الأميرة القاسية . ٤ خاتم الذكرى .
٥ شبكة الموت . ٦ فى غابة الشياطين .
٧ صراع الأخوين .

قصص شكسبير

١ العاصفة . ٢ تاجر البندقية .
٣ يوليوس قيصر . ٤ الملك لير .

أساطير العالم

١ الملك ميداس . ٢ فى بلاد العجائب .
٣ القصر الهندى . ٤ قصاص الأثر .
٥ بطل أثينا . ٦ الفيل الأبيض .

قصص علمية

١ أصدقاء الربيع . ٢ زهرة البرسيم .
٣ فى الاصطبل . ٤ جبارة الغابة .
٥ أسرة السناجيب . ٦ أم سند وأم هند .
٧ الصديقتان . ٨ أم مازن .
٩ العنكب الحزين . ١٠ النحلة العاملة .

أشهر القصص

١ جلفر فى بلاد الأقزام .
٢ « فى بلاد العمالقة .
٣ « فى الجزيرة الطيارة .
٤ « فى جزيرة الجياد الناطقة .
٥ روبنسن كروزو .

قصص عربية

١ حى بن يقظان . ٢ ابن جبير فى مصر والحجاز .

قصص تمثيلية

١ الملك النجار .